﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمّد ﷺ: 27 - 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

الفرار من القتال في سبيل الله يُناسبه الإخبار بميتة السوء

لمّا بيَّنتِ الآيات السّابقة ردَّة المنافقين عن دين الله تعالى، واتِّباعهم ما أسخط الله، وقبولهم لطاعة المشركين واليهود، كلُّ ذلك بسرٍّ وخفاءٍ، وبيَّنت إحاطة علمه تعالى بهم؛ أتبعه إحاطة قدرته بهم[1]، وما سيلحقهم من العذاب والهلع من الملائكة، سواء أكان ذلك عند موتهم، أم عند فرارهم من القتال[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَوَفَّتْهُمُ﴾: وفَى الكيلُ، ووَفَى الشَّيءُ، أي: تَمَّ، وأوفَيْتُه أنا أتممته، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ [الإسراء: 35]، وأوْفَى الرَّجلَ حقَّه، ووَفّاه إيّاه بمَعنَى: أكمَلَه له، وأعطاه وافيًا، وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: 39][3]، و"الوَفاة الموتُ"[4]، وتَوَفّاهُ اللّه تعالى: أماتَهُ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، وأصلُهُ استيفاءُ العَدَدِ، أي: يَستَوفي عَدَدَ أيّامه وأنفاسه وأرزاقه"[5]، فمعنى ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قبضت أرواحهم عند استيفائهم آجالهم.

2) ﴿أَسْخَطَ﴾: يقال: أسخطَ يُسخِط إسخاطًا، فهو مُسخِط،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 249.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 118.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (وفى).
(4) ابن سيده، المخصص: (وفى).
(5) النسفي، طلبة الطلبة، ص: 54.

والمفعول مُسخَط، وأسخط فلانًا: أغضبه، وأغاظه، وأسخَط والديه بتصرُّفاته، ولا تفعل ما يُسخط الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾"[1]، فمعنى ﴿أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾: فعل ما يغضبه سبحانه، وأتى ما يوجب عقابه ﷻ.

3) ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ﴾: رضيت الشَّيء، ورضيت به رضًا: اخترته، وارتضيته مثله، ورضيت عن زيد، ورضيت عليه، لغةٌ لأهل الحجاز، والرِّضوان بكسر الرّاء وضمِّها لغة قيس وتميم بمعنى الرِّضا، وهو خلاف السُّخط، وشيء مرضيٌّ أكثر من مرضوٍّ، وأرضيته إرضاء، وراضيته مراضاة ورضاء، مثل: وافقته موافقة ووفاقًا وزنًا ومعنًى[2].

والمقصود بـ ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ هنا فعل ما يرضيه عزَّ وعلا، فعُبِّر بالمسبَّب وهو الرِّضوان، عن السَّبب وهو الفعل، وعن الطَّيبيِّ: الرِّضوان: هو الرِّضا الكثير، ولمّا كانَ أعظم الرِّضا رضا الرَّحمن؛ خُصَّ لفظ الرِّضوان في القرآن بِما كانَ من الله تَعالَى[3]، فقوله تعالى: ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾، أي: أبغضوا ما يحبُّه ﷺ، وما يختاره لهم، ويقبله منهم.

4) ﴿فَأَحۡبَطَ﴾: حَبِطَ حَبَطًا، وأحْبَطَه الضَّرْب، والحبَطُ: وجَعٌ يَأْخُذ البَعيرَ في بَطْنه مِن كلَأٍ يَستَوبِلُه، وقد حَبِط حَبَطًا، فهوَ حَبيطٌ، وحَبِطَت الشّاة حَبَطًا: انتفخ بَطنها عن أكل الذَّرق، وحَبِطَ عمله حَبْطًا وحُبوطًا: فسد، والله أحْبَطَه، وفي التَّنزيل: ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[4]، أي: أفسدها، وأبطل أجرها.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يتابع السّياق الشَّريف الحديثَ عن المرتدّين، وما ينتظرهم

أقبح ما عرف البشر من أنواع الموت ما جاء بيانه في هذه الآية

(1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (سخط).
(2) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (رضي).
(3) أبو البقاء، الكليات، ص: 478.
(4) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (حبط).

من عقوبة تبدأ مِن أوَّل مراحل اليوم الآخر، حال نزول الموت بهم، وأثناء معالجة ملائكة الموت ذلك، فكيف ستكون معاناتهم وشدَّة عذابهم والملائكة تضربهم ضربًا شديدًا على أشرف شيء فيهم، وهو وجوههم، وتهينهم بالضَّرب على مؤخِّراتهم، فيُجمَع عليهم العذاب المهين إلى العذاب الأليم؛ عقابًا لهم جزاء كرههم ما أنزل الله، وهروبهم من القتال في سبيله.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الفاء ودلالتها:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لترتيب ما بعدها على ما قبلَها[1]، أو تفريعيَّة، تُفرِّع التَّعجيب من تعذيب المرتدّين، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند وفاتهم، على ما سبق من ارتدادهم، وقولهم للَّذين كرهوا ما أنزل الله تعالى: ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾.

يستهلُّ المنافقون عـذابَـهـم الأخـرويَّ بداية مـن لـحـظـة المـوت، ثـمَّ يتواصل عليهم

و"التَّفريع؛ لبيان ما سيلحقهم من العذاب عند الموت، وهو استهلال؛ لما يتواصل من عذابهم عن مبدأ الموت، إلى استقرارهم في العذاب الخالد.

ويجوز أن يكون التَّفريع على المحمل الثّاني، وهو أنَّ المراد الارتداد عن القتال، وتكون الفاء فصيحة، فيفيد: إذا كانوا فرّوا من القتال هلعًا وخوفًا؛ فكيف إذا توفَّتهم الملائكة، أي: كيف هلعهم ووجلهم الَّذي ارتدّوا بهما عن القتال، وهذا يقتضي شيئين: أوَّلهما أنَّهم ميّتون لا محالة، وثانيهما أنَّ موتتهم يصحبها تعذيب، وهذا التَّعجيب مؤذن بأنَّها حالة فظيعة غير معتادة؛ إذ لا يُتعجَّب إلّا من أمر غير معهود، والسّياق يدلُّ على الفظاعة"[2].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 100.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 117.

غرضُ الاستفهام وبلاغته:

من رحمة الله تعالى بالعبادِ تعظيمُ أحوال الموت وتهويلُها

الاستفهام في جملة: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾؛ للاستعظام والتَّهويل[1]، والتَّعجيب مِن شدَّة الإهانة والإيلام اللَّذين سيتجرَّعُهما المنافقون المرتدّون واليهود والمشركون عند حلول آجالهم من ضربِ الملائكة وجوهَهم وأدبارهم.

ففيه تخويف وتشديد[2]، وتفظيع وتبشيع لِما ينتظرهم في أوَّل مراحل الآخرة عند الموت، فحينئذٍ "كيف يعملون؟ وما حيلتهم حينئذٍ؟"[3].

نكتةُ استعمال أداة ﴿إِذَا﴾ دون (إنْ):

المقطوعُ بوقوعه هو الصّورةُ المذكورة في الآيةِ لا التَّوفّي

جاء استعمال ﴿إِذَا﴾ دون (إنْ) في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لمناسبته لمقام التَّوفّي، والقطع ليس للتَّوفّي؛ فلا يشكُّ أحدٌ بوقوعه، وإنَّما في كونه على الصّورة المذكورة، وأنَّه لا شكَّ آتٍ، وكلُّ آتٍ قريب، فالجدير بأهل هذا الوعيد أن يثوبوا إلى الحقِّ، فإنَّ أحدًا لا يَشكُّ في نزول الموت به أصلًا، وتأتي ﴿إِذَا﴾؛ لتوقظ الغافلين، وتقرِّع المعاندين، أمّا (إنْ)؛ فلا تتَّسق دلالتها مع هذا السّياق المفعَم بالتَّهديد والوعيد؛ لِما فيها مِن تهوين الشَّكِّ وتضعيف الوقوع.

بلاغةُ المجاز بالحذف:

تقديرُ المحذوف أحوالٌ عجيبة ومواقف رهيبة

"﴿إِذَا﴾ متعلِّق بمحذوف دلَّ عليه اسم الاستفهام، تقديره: كيف حالهم أو عملهم حين تتوفّاهم الملائكة.

وكثر حذف متعلِّق كيف في أمثال هذا مقدَّرًا مؤخَّرًا عن (كيف) وعن (إذا)، كقوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ [النساء: 41]، والتَّقدير: كيف يصنعون، ويحتالون"[4].

---

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 242.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 47.

(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 329.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 118.

دلالةُ التَّعبير بفعل التَّوفي مادَّة وصيغة:

لن يُعاقب الله المرتدّين بتقصير أعمارهم وتقريب آجالهم

التَّعبير بفعل التَّوفّي في جملة ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يدلُّ على استيفاء المرتدِّ رزقَه على التَّمام، وعلى حينونة[1] أجله المقدَّرِ المؤجَّلِ له، وأنَّ الله تعالى سيُعطيهم كامل أجلهم، وتمام مدَّتهم، ولن يُنقصهم شيئًا منها بسبب ردَّتهم، وفي صوغه ماضيًا مع اقترانه بـ﴿إِذَا﴾ دليل على وقوعه مستقبلًا، ولتصوير ما سيكون حين الوفاة.

بلاغةُ التَّقييد بجملة الحال:

مناط التَّهديد في القيد الخاصّ بالمنافقين لا بالفعل العامّ لجميع النّاس

تقييد جملة: ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بجملة الحال في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾؛ لأنَّها مناطُ التَّهديد والوعيد، وذلك أنَّ أصل الخبر، وهو التَّوفية، فأمرٌ مقرَّر لجميع الأحياء، فالغرضُ يكمن في القيد لا في أصل الخبر، وهذا ما قرَّره عبد القاهر الجرجانيُّ من "أنَّه ما مِن كلام كانَ فيه أمرٌ زائدٌ على مجرَّدِ إثباتِ المعنى للشَّيء، إلّا كان الغرضَ الخاصَّ من الكلام، والَّذي يُقْصَد إليه، ويُزْجى القولُ فيه"[2].

ويقرِّر ذلك ورودُ توفّي الملائكة بشارةً في مقام آخر، وذلك خاصٌّ بالمؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: 32]، فثبت أنَّ مناط التَّهديد متعلِّق بِضَرب الملائكة وجوه المنافقين وأدبارهم.

بلاغةُ مجيءِ الحال جملةً:

إتاحةُ مجموعةٍ من الدَّلالات ما لا تُتيحه الحالُ المفرَدة

قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ "حالٌ مِن ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، أو من ضمير المفعول؛ لأنَّ في الكلام ضميرًا يرجع إليهم"[3]، وجاء

(1) "الحينُ: وقتٌ من الزّمان، حان يحينُ حينونةً، ويُجمعُ على الأحيان، ثُمّ على الأحايينِ، وحيّنتُه: جعلت له حِينًا.
والحينُ: يومُ القِيامةِ"، ينظر: ابن عباد، المحيط في اللغة: (حين).
(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 280.
(3) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1164.

الحال جملة لا مفردًا، فلم يقل: (فكيف إذا توفَّتهم الملائكة ضاربين وجوههم)؛ لِما تتميَّز به الجملة من التَّنويه بِتحقُّق الوقوع عَبْر صيغة المضارعة في ﴿يَضْرِبُونَ﴾، وما تقضي به من تجدُّد ضرْب وجوههم وأدبارهم، وتطاوله على المرتدّين.

دلالةُ التَّعبير بمفردة الضَّرب:

جاء التَّعبير بمفردة الضَّرب في جملة: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾؛ ليدلَّ على شدَّة المعاناة الَّتي يُقاسيها هؤلاء المشؤومون عند موتهم، فإنَّهم يُضربون ضربًا، فضربهم حقيقة غيبيَّة نؤمن بها، وفي التَّعبير بالضَّرب "تصويرٌ لتوفّيهم على أهول الوجوه وأفظعها، وإبراز لِما يخافون منه، ويجبُنون عن القتال لأجله؛ فإنَّ ضرْبَ الوجوه والأدبار في القتال والجهاد ممّا يُتَّقى"[1]، فلمّا فرّوا من هذه الحال في القتال؛ كان جزاؤهم بها.

فرارُ المنافقين من القتال الكريم أوقعهم في ضرب الملائكة المُهين

توجيهُ تخصيص الوجوه والأدبار بالذِّكر:

ضرْبُ ملائكة الموت المنافقين فيما أخبرت به الآية يتناول الوجوه والأدبار، والأصل في الأخبار الغيبيَّة التَّوقُّف عند حدود الخبر، وعدم إجرائه على المعتاد في عالم الشَّهادة، لكن يحتمل نظم الآية: ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أن يكون "المراد بوجوههم كلَّ ما أقبل منهم، وبأدبارهم كلَّ ما أدبر من أجسامهم"[2]، وعليه فيكون توجيه ذلك أنَّهم يُضربون على أكرم الأبدان، وهي الوجوه، وعلى أشدِّ الأعضاء إهانة، وهي الأدبار؛ وذلك لإهانتهم من أعظم الجهتين، كما أنَّ "وجوههم الَّتي وقوها مِن الضَّرب حين فرّوا من الجهاد، فإنَّ الوجوه ممّا يُقصد بالضَّرب بالسّيوف عند القتال، ويضربون أدبارهم الَّتي كانت محلَّ الضَّرب لو قاتلوا، وهذا تعريض بأنَّهم لو قاتلوا؛ لَفَرّوا فلا يقع الضَّرب إلّا في أدبارهم"[3].

الوجوه والأدبار أشدُّ الأعضاء حساسيَّة عند الإنسان

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 230.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 242.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 118، بتصرف.

بلاغةُ الكناية ودلالتها:

ضربُ الوجوه إذلالٌ، وضرب الأدبار إهانة

الوجه مجمعُ المحاسن، وموضع التَّكريم، فضربه إذلالٌ وتحقير، وضرب الأدبار إهانة وتهوين، وبذلك يُجمَع على الكافرين نوعا العذاب الحسّيِّ والرّوحيِّ - إلى ما في ذكرهما من عموم الجهات - ففي تخصيصهما بالضَّرب كنايةٌ عن كمال إهانتهم إهانة مزرية، قد تُجدي في ردع من يتلقَّى هذا البيان الوافي عن الكفر والنِّفاق قبل حلول ذلك به.

علَّةُ فصل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ﴾ عمّا قبله:

من صدَّ عن سبيل الله؛ خُتِم له بسوء الخاتمة

فصل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ عمّا قبله؛ لِما بينهما من كمال الاتِّصال، فالثّانية بيان لسَببِ الأولى، وأنَّهم إنَّما عوقِبوا بضرب الملائكة وجوهَهم وأدبارهم، وأنَّه إنَّما عُجِّل لهم هذا العذاب عند الموت؛ بسبب اتِّباعهم ما أسخط الله تعالى وكُرههم رضوانه، وبُغضهم دين التَّوحيد الَّذي يرضاه عباده، فالآية فيها معنى التَّعليل.

دلالةُ استعمال اسم الإشارة:

ضربُ الملائكة المنافقين مشهدٌ بعيدٌ في آلامه ومآلاته

في إيثار المسند إليه اسمَ إشارة مع لام البُعد: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ يوحي بخطورة المشار إليه، وهو ضرب الوجوه والأدبار، وتدلُّ على بُعده خطورةً وبشاعةً وفظاعةً، وذلك يُسهم في ترهيب مَن كان له قلب.

نوع الباء ودلالتها:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ للسَّببيَّة، أي: تتوفّاهم الملائكة ضاربين وجوههم وأدبارهم؛ بسبب اتِّباعهم ما أسخط الله تعالى وكراهيَّتهم رضوانه.

معنى (أنَّ) ودلالتها:

(أنَّ) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ توكيديَّة، تقرِّر خطورة ذلك السَّبب، وأنَّه بحيث يؤهِّل صاحبه إلى تلقّي الضَّرب والإهانة عند الموت.

دلالة صوغ فعل الاتِّباع ماضيًا:

المنافقون لا يزالون يَتَّبِعون ما يُسخط الله تعالى على امتداد الزَّمان

صوغ فعل الاتِّباع ماضيًا في جملة الخبر: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ يدلُّ على ترسُّخ ذلك فيهم عقيدة وسلوكًا؛ ذلك أنَّهم ﴿ٱتَّبَعُواْ﴾، ولا يزالون يتَّبعون إلى وقت نزول الآية الكريمة، وسيتَّبعه كلُّ منافق على امتداد الزَّمان واتِّساع المكان، على أنَّه "لا أحد يَقصد قصد اتِّباع ما أسخط الله، ولا كراهة رضوانه، لكنَّهم لمّا اتَّبعوا الفعل الَّذي كان الله يُسخط ذلك الفعل، فكأنَّهم اتَّبعوا سخطه، وكذلك إذا تركوا اتِّباع ما كان الله يرضاه، وكرهوه، فكأنَّهم كرهوا رضوانه، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يس: 60].

ولا أحد يَقصد قصد عبادة الشَّيطان، لكنَّهم لمّا اتَّبعوه فيما يأمرهم، ويدعوهم إليه؛ فكأنَّهم عبدوه، وهو تسمية الشَّيء باسم سببه، واللُّغة غير ممتنعة عن تسمية الشَّيء باسم سببه"[1].

بلاغةُ الاستعارة في تركيب ﴿مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾:

تصوير حرص المنافقين على ما يُسخط الله تعالى

قوله تعالى: ﴿مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ فيه استعارةٌ؛ إذ شبَّه النَّظم الكريم ﴿مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ بشخصٍ يُتَّبع، وحُذِف المُشبَّه به، وذُكِر المشبَّه، ورُمز له بكونه متَّبعًا، على سبيل الاستعارة المكنيَّة، وفائدة الاستعارة تشخيص حالة الاتِّباع وتصويرها؛ لبيان حقارة فِعلهم في الحرص على ما يُسخط الله تعالى، فإنَّ شأنَ المتَّبع الحرص على اتِّباع محبوبه.

علَّة التَّعبير بالموصول ﴿مَآ﴾:

اتِّساع دلالة الموصول أبرُّ وأوفى بمقتضيات السّياقات المفعمة

﴿مَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ موصولة، أي: اتَّبعوا الَّذي أسخط الله تعالى، والتزموه، وآثروه على ما يحبُّه الله تعالى، وفي إيثار هذا المفعول موصولًا توسيع لِلَفظٍ يسير ﴿مَآ﴾؛ ليشمل

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 281.

جميع ما أسخطه ﷻ، ولا تطيق العبارة هنا تعديدَه باسمه الصَّريح، فكان الموصولُ أبرَّ بالسّياق، وأعمَّ للأنواع وأجمعَ للتَّفاصيل.

و﴿مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ تعالى كثير، مثل الكفرِ بالله تعالى، وموالاة أعدائه، ومناواة أوليائه، وكتمان نعمة رسول الله ﷺ وكتمان اليهود التَّوراة - وأغلب المنافقين يهود - ومعاونة الكافرين[1]، وكراهة الجهاد الَّذي كان الفاضح لنفاقهم، وغير ذلك كثير ممّا بيَّنه الدّين.

دلالة التَّعبير بمفردة الإسخاط:

التَّعبير بمفردة (الإسخاط) في جملة: ﴿أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ يدلُّ على فظاعة الجرم الَّذي ارتكبه هؤلاء المنافقون؛ إذ مادَّة السُّخط تُستعمل فيما يكون مِن الكبير على الصَّغير ولا يُعكَس، بخلاف الغضب، فيكون مِن كليهما على كليهما[2]، ولا شكَّ أنَّ سخط الأكبر سبحانه يكون أعظم؛ فلا يُقام له، ولأنَّ الخالق العظيم ﷻ لا يجري عليه ما يجري على المخلوقين من إحساس السُّخط، فـ "السُّخط مستعارٌ لِعدم الرِّضا بالفعل، وكراهتُهم رضوانَ الله تعالى كراهتُهم أسبابَ رضوانه، وهو الإسلام"[3].

السُّخط يُستعمل فيما يكون مِن الكبير على الصَّغير ولا يُعكَس

لطيفةُ التَّعبير بالاسم الجليل:

في إيثار مفعول السُّخط اسمَ الجلالة تهويل وتخويف؛ لأنَّ الاسم الجليل يشتمل على معاني الجلال والرَّهبة، فلله ﷻ مهابةٌ تَحول دون الميل إلى ما يسخطه، فما الظَّنُّ بمصير من يَتَّبع ما يسخطه؟ ففيه تعريضٌ بسوء صنيعهم، وقبح أفعالهم، فهُم إنَّما يحرصون على العذابِ كحرص المؤمنين على النَّجاة.

مهابةُ الجليل سبحانه تمنع من إغضابه، وتدعو إلى رضوانه

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 128، والزمخشري، الكشاف: 4/ 327، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 329، والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 250.
(2) النشر الإسلامي، الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري، ص: 386.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 119.

نوعُ الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ عاطفة، تجمع على هؤلاء المنافقين المرتدّين واليهود جريمتين في قرنٍ واحد: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾، فهُم لم يكتفوا باتِّباع ما يسخطه الله تعالى، حتى رسَّخوا في أنفسهم كرْهَ ما يرضيه سبحانه.

المنافقون يَجمعون بين جريمتَي اتِّباع ما يُسخط الله تعالى وكراهة ما يرضيه

و"لمّا كان فعل ما يُسخِط قد يكون مع الغفلة عن أنَّه يُسخِطُ؛ بيَّن أنَّهم ليسوا كذلك، فقال تعالى: ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾"[1]، أي: عمدوا إلى ذلك عمدًا.

بلاغةُ ازدواج فنِّ الطِّباق:

جمع السّياق في الآية بين مفردتَي الإسخاط والكُره، والأوَّل لله تعالى، والثّاني للمنافقين، وسبق أنَّ الإسخاط يكون من الكبير على الصَّغير، وأنَّ الكره يكون من هذا على ذلك، ومن ذلك على هذا، وعليه فقد وزَّعها النَّظم الكريم توزيعًا دقيقًا، فأسند الكره إليهم في جملة: ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾، وفي ذِكر اتِّباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه مُحسِّنُ الطِّباق مرَّتين للمضادَّة بين السُّخط والرِّضوان، والاتِّباع والكراهية[2].

التَّضاد بين السُّخط والرِّضوان والاتِّباع والكراهية

دلالة المضيِّ في الفعل ﴿وَكَرِهُواْ﴾:

تدلُّ صيغة الماضي في الفعل ﴿وَكَرِهُواْ﴾ على تحقُّق تغلغُل كُرههم رضوانَه ﷺ في سويداء قلوبهم، ورسوخه والقطع به بما لا يؤمَّل معه توبتُهم، فقُضي لهم بالموت على حالة ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم.

كُرْهُ المنافقين ما يرضي الله تعالى مُتَغَلْغِلٌ في قلوبهم

دلالةُ الإضافة في لفظ ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ﴾:

إضافة لفظ (رضوان) إلى ضمير العظمة في قوله سبحانه: ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ يزيد جريمتهم جُرمًا، ويوجب لهم مع الوعيد

من فاته رضوانُ الله تعالى؛ فاته الخيرُ، ولَحِقه الشَّقاءُ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 250.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 119.

وعيدًا؛ لأنَّهم كرهوا رضوان مالك الملك، جبّار السَّماوات والأرض، فمَن فاته رضوان الله تعالى؛ فاته الخير كلُّه، ولحقه الشَّقاء والشَّرُّ، والإضافة بمعنى (من)، أي: رضوان من الله، وهو الإسلام.

نوعُ الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَأَحْبَطَ﴾:

إحباطُ الأعمالِ فرعُ أصلِ كراهية رضوان الله

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ تفريعيَّة، تُفَرِّع إحباط أعمالهم على اتِّباعهم ما يسخطه ﷻ وكُرههم ما يرضيه، "فكان اتِّباعهم ما أسخط الله، وكراهتهم رضوانه سببًا في الأمرين: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة، وإحباط أعمالهم"[1].

وفي ذلك التَّفريع تقرير لمصير من يتَّبع الكفر والنِّفاق، وما يُسخط الله ﷻ، وإذا أحبطت أعمالهم؛ فما بقي لهم إلّا النّارُ، وبئس المصير.

بلاغةُ الكناية في استعمال مفردة (أحبط):

الحبط إفسادٌ للعمل الصّالح ووعيدٌ بالعذابِ الماحق

الحبط: إبطال العمل، والعمل لا يُبطَل، وإنَّما تُبطَل ثمرته، فالله ﷻ قد أهدر "ثواب أعمالهم وأذهبه"[2]، فهؤلاء أُبطِل انتفاعُهم بأعمالهم، الَّتي عملوها مع المؤمنين مِن قول كلمة التَّوحيد، ومن الصَّلاة والزَّكاة، وغير ذلك[3] من الأعمال الصّالحة، واستُعمِلت هذه المفردة لتشبيه حبط أعمال المنافقين بحبط الدّابَّة، فإنَّ الدّابَّة إذا أكلت فوق طاقتها؛ أحبطت الأكل النّافع فذهبت فائدته، وانقلب إلى ضررٍ قاتل[4]، وكذلك المنافق لمّا أتى الأعمال الباطلة؛ أحبط الأعمال الصّالحة، وهذا الاستعمال كنايةٌ عن الوعيد يوم القيامة، فمن حبط عملُهُ؛ فقد حاز الخسران المبين.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 119.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 221.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 120.

(4) حبطت الشّاة حبطًا: انتفخ بطنها عن أكل الذرق، وفي الحديث: «إن مِمّا يُنبت الرّبيعُ ما يقتل حبطًا أو يُلِمُّ»، وذلك الدّاء الحُباطُ، وحبِط عمله حبطًا وحُبُوطًا: فسد، والله أحبطه، وفي التّنزيل: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝﴾، أي: أفسدها، وأبطل أجرها، ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (حبط).

دلالة المُضيِّ في الفعل ﴿فَأَحْبَطَ﴾:

جاء الفعل ﴿فَأَحْبَطَ﴾ ماضيًا، والإحباط سيكون يوم القيامة؛ للدَّلالة على تَحقُّق الإحباط يوم القيامة؛ وذلك لأنَّ وعيد الله ﷻ نافذ لا محالة، كما أنَّ وعْدَه سبحانه نافذ لا محالة، فإذا قضى أمرًا؛ فإنَّما يقول له كن فيكون؛ لذلك جاء الفعل ﴿فَأَحْبَطَ﴾ ماضيًا.

وعيدُ الله ﷻ نافذ لا محالة

لطيفة جمع لفظ ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾:

جاء لفظ ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ جمعًا؛ لبيان أنَّ أعمالهم الصّالحة مهما تنوَّعت، وكثرت؛ فلن تنفعهم بشيء؛ ذلك لأنَّها قد رُميت بسهام النِّفاق، فقتلتها، فلم تثبت في حياة أصحابها، وفي الجمع دلالةٌ على دخول أعمال الجوارح والأعضاء كلِّها، مثل عمل اللِّسان من النُّصح والتَّوجيه، وصدق القول، وما إلى ذلك، فكلُّه هدْرٌ لا قيمة له.

مهما كثُرت أعمال المنافقين؛ فهي إلى محقٍ ساحق

دلالةُ إضافة لفظ العمل إلى الضَّمير:

إضافة الأعمال إلى ضمير المنافقين واليهود في جملة: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ بمعنى اللّام، فهي أعمال لهم ابتداءً، وهذه الإضافة تزيدهم ألمًا؛ لأنَّهم قد عملوها، وكان الأصل أن تكون منفعتُها لهم، وفي هذا تحسير، وتحذير ممّا يكون على منوالها، وهي "الأعمال الَّتي صورتُها صورةُ الطّاعة من صلاة وزكاة وصيام، أو ما كانوا قد عملوا مِن الخير قبل الرِّدَّة[1]، فـ "الله ﷻ لم يقبل منهم عملًا، حتّى ولو كان ممّا يحسب في الأعمال الصّالحة للمؤمنين؛ لأنَّهم غير مؤمنين بالله، والإيمان بالله شرط أوَّل في قبول العمل"[2].

لا يفيد مع النِّفاق أيُّ عمل من الأعمال

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السُّخط والغضب:

الغضب يكون من الصَّغير على الكبير، ومن الكبير على الصَّغير،

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 47.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 364.

السُّخط يصدر عـن الأعـلى، ويـستـلـزم العقاب، بخلاف الغضب؛ فهو أعمُّ

والسُّخط لا يكون إلّا من الكبير على الصَّغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير، ويُستعمل الغضب فيهما، والسُّخط إذا عدَّيته بنفسه؛ فهو خلاف الرِّضا، يقال: رضيه، وسخطَه، وإذا عدَّيته بـ (على)؛ فهو بمعنى الغضب، تقول: سخط الله عليه؛ إذا أراد عقابه[1]، والغضب لا يستلزم العقاب ضرورة، بخلاف السُّخط، فيلزم عنه العقاب.

(1) النشر الإسلامي، الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري، ص: 386.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"